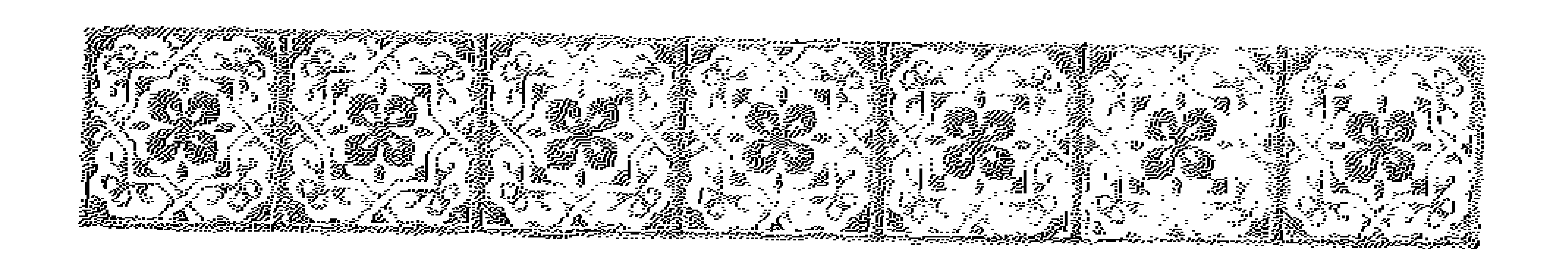
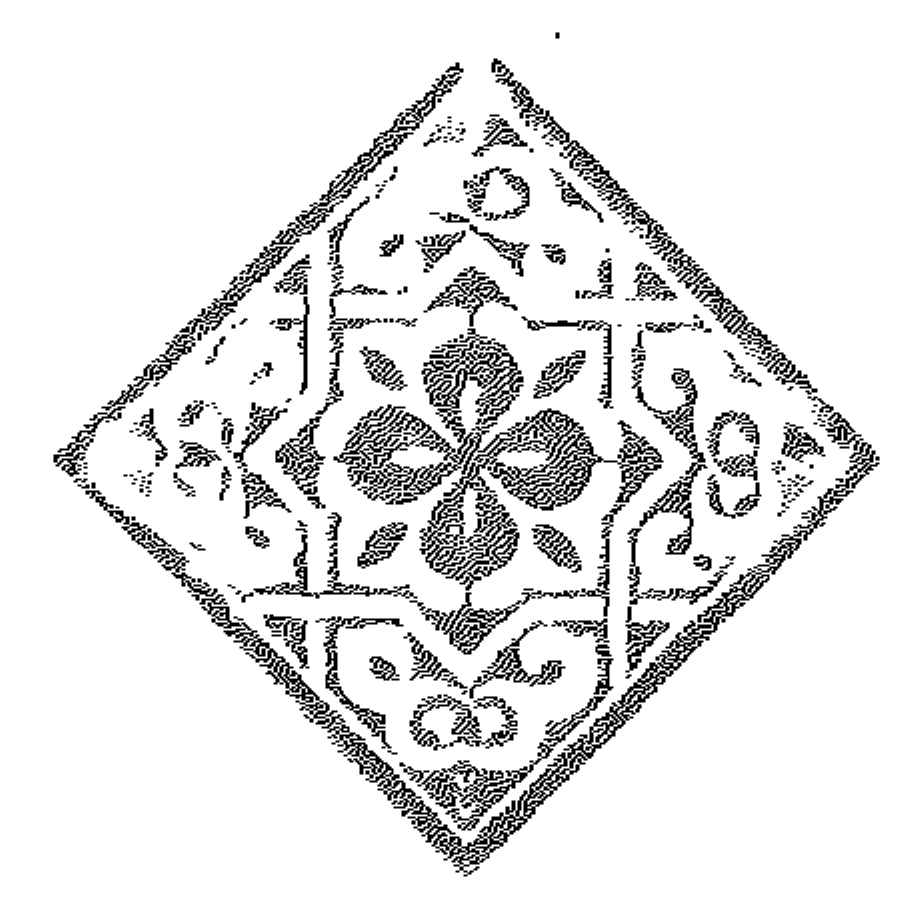
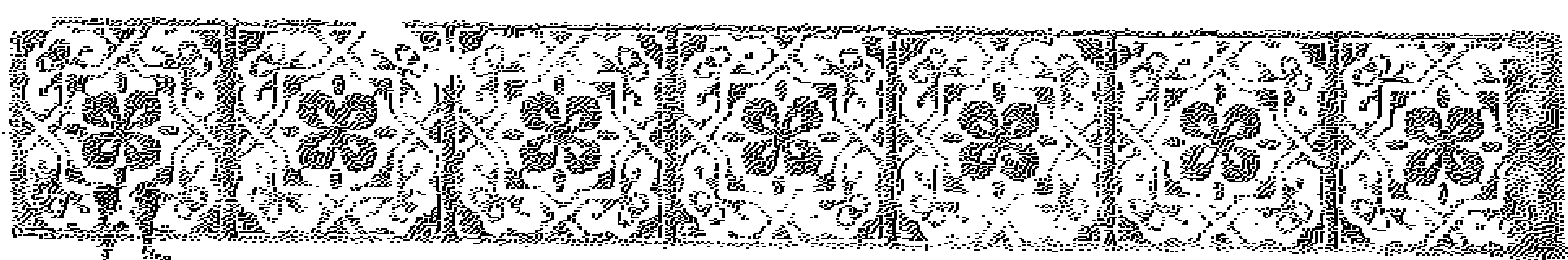
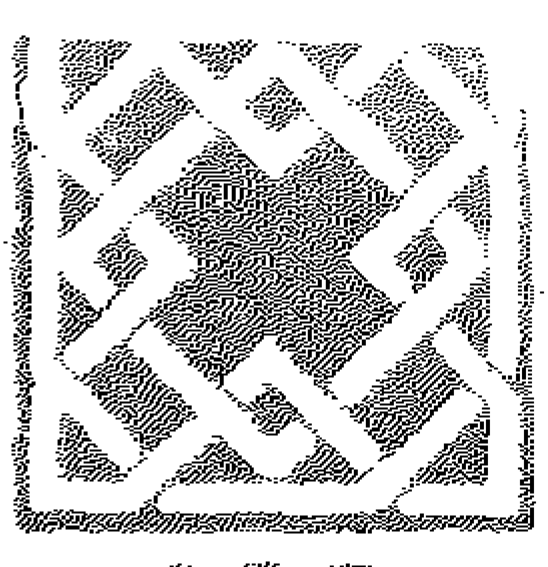
الدكتور محمد البهي

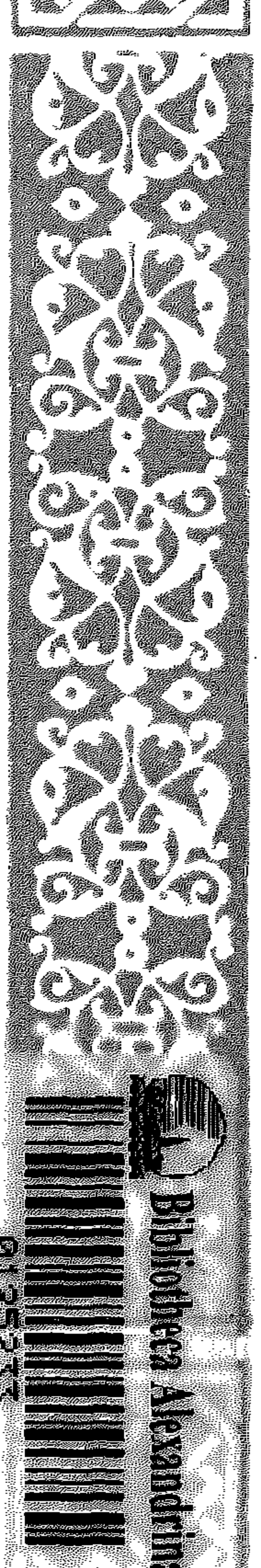


التفرقة العنصرية والإسلام









يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

الدكتور محمد البهي

الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعة الأولى

ذو القعدة سنة ١٣٩٩ هـ ــ أكتوبر سنة ١٩٧٩ م

مقدمة

التفرقة العنصرية تقوم على ادعاء : أن شعبا من الشعوب ، أو قوما من الأقوام ، أو جنسا من الأجناس البسرية ، أو قبيلة من القبـائل ، أو عشيرة من العشـائر ، أو مجموعة من الناس خاصة ٠٠ تتميز فى صفاتها الجسمية والعقلية عن ما عداها ٠ وانها لذلك صاحبة الفضل فى بناء الحضارة الانسانية والمدنية ومؤهلة من أجل هذا السبب للقيادة والامارة على الآخرين ٠

هل الاسلام بدعوته ومبادئه يقوم على التمييز العنصرى ؟ انه يفرق حتمـا بين الأفراد والمجموعات ، بينما يسـوى بين الناس جميعا ٠ فعلى أى أساس يفرق ؟ وعلى أى أساس آخر يسوى ؟

وبعض المسلمين فى مراحل ايمانهم بالاسلام على عهد الرسول عليه السـلام وبعده ، كان لا يخفى النزعة الى « القبيـلة » أو « العشيرة » ٠٠ هل عدم اخفاء هذه النزعة يعد مساوقا للايمان ، أو يعتبر تغاضيا عن دعوته ؟

ان الاسلام كما سنرى فى هذا البحث يدعو الى : « الانسانية » وقيمها العليا ٠ وهو من أجل ذلك يعادى « العنصرية » كما يعادى الشر والجاهلية ٠

وظهور النزعة « العنصرية » فى وقت ما ، أو فى مرحلة ما ، عند بعض المسلمين ، لا يدل على أن الاسـلام يهادن العنصرية لسبب من الأسباب وانما يدل على ضعف هذا البعض من المسلمين ، أو على أن المجتمع يأخذ طريقه شيئا فشيئا بعيدا عن الاسـلام ومبـادئه ٠

والله الموفق ٠ **دكتور محمد البهى**

مصر الجديدة

٢٤ من شعبان ١٣٩٩ هـ

١٩ من يوليـة ١٩٧٩ م

* فى النصوص الاسلامية :

رسالة الرسول عليه السلام ـ وهى ما أوحى بها الله فى القرآن ـ جاءت لتعيد الى القيم الانسانية اعتبارها ـ جاءت لترفع من شأن هذه القيم فى العلاقات بين الناس والأفراد ، ويكون لها وزنها ، بحيث تحل محل الروابط المادية ، وهى روابط المنفعية والمبادلات المصلحية ، التى تكون نفاق الانسان فى التفكير والسلوك ، والمواقف بالنسبة للآخرين ٠

ولكى يفسح الاسلام المجال للقيم الانسانية فى ترابط الناس بعضهم ببعض : نحى عن هذا الترابط اختلاف نظرة الناس بعضهم الى بعض ، واختلاف تقديرهم وتقييمهم على أساس من « العنصرية » ٠٠ أى على أساس من « الشعوبية » ٠٠ و « القبلية » ٠٠ و « الذكورة والأنوثة » ٠٠ على أساس من « الأصل » و « الجنس » ٠٠ يقول الله تعالى : **« واعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا »** ٠٠ فيأمر المؤمنين بأن ينتقلوا بالترابط فيما بينهم ويرتفعوا به الى دائرة الهداية بكتاب الله ٠ وهى دائرة أسمى من دوائر الترابط التى كانت سائدة قبل رسالة الاسلام ، ودائرة أعم فى الشمول من أية دائرة أخرى كان لها اعتبارها بين الجاهليين أو الماديين أو غير الاسلاميين ٠

وبالانتقال الى هذه الدائرة الأسمى والأعم فى الترابط يجنب القرآن المؤمنين : الفرقة على أساس الاختلاف فى القبيلة ، أو الشعب ، أو اللون ، أو الجنس من الذكورة والأنوثة ٠ ولكى يقنعهم بأن يكون الترابط فى العلاقات على صلة بهداية الله وحدها ، يذكرهم بأحداث الماضى فى العلاقات البشرية التى كانت تنشأ على أساس مادى ضيق ، كما يذكرهم بآثارها السلبية فتقول الآية مستمرة فى الحديث : **« واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء ، فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة**

من النار فأنقذكم منها))(١) ·· والعداوة التى كانت قائمة ليست هى فقط العداوة التى كانت بين قبيلتى الأوس والخزرج ، كما يذكر كثير من المفسرين · وانما هى كل عداوة عنصرية قبلية ، أو شعوبية ، تنشأ على أساس الدم والقرابة فيه ، وليس على أساس التوجيه الانسانى والهداية الالهية وهى عداوة تتكرر كلما تكررت الروابط واشتدت على أساس العنصرية ·

وتعتبر الآية الكريمة أن الدعوة الى الانتقال بالترابط بين الناس الى دائرة الهداية الالهية ، هى دعوة لانقاذ البشرية من الهلاك المحقق ، وتمتن بها على المؤمنين ، مؤملة أن يأخذوا بها فى حياتهم ، كى يكونوا على طريق السلام والأمان دائما ·

* * *

واذ ينحى الاسلام عن ترابط الناس بعضهم ببعض قيام هذا الترابط على أساس ((العنصرية)) فانه يوصل المبدأ الذى يؤكد مساواة الناس جميعا فى الاعتبار البشرى ، ويرد كل سبب آخر للتفرقة العنصرية · فيقول :

((يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ،

((وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا))(٢) · فالناس جميعا خلقوا من ازدواج الذكورة والأنوثة · ولا يتخلف فرد واحد منهم فى نشأته عن هذا الأصل · فالناس اذن متساوون فى الاعتبار البشرى ، كما هم متساوون فى النشأة والأصل هنا · ويوضح ذلك قوله تعالى فى سورة الانسان :

((هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ·
(أى أنه جاء وقت لم يكن الانسان مخلوقا) ·

---

(١) آل عمران : ١٠٣ (٢) الحجرات : ١٣

« انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصـيرا »(١) • وعندما خلقه الله سبحانه وتعالى خلقه من نطفة مشتركة من الذكورة والأنوثة • وخلقه على هذا النحو : لا يتبدل بسبب اختلاف المكان ، والزمان ، واللغة ، والعرق ، والذكورة والأنوثة ، واللون •

وتأتى سـورة النساء فى أول آية منها فتذكر أن الطبيعة الانسانية التى خلق منها الناس جميعا ، وخلق منها للذكر والأنثى ، هى طبيعة واحدة ، يقول الله تعالى :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم (فتجنبوا ما تباشرونه ضـد الضعفاء فيكم أو ضد المستضعفين لديكم ، وهم النساء ، واليتـامى) •

« الذى خلقكم من نفس واحـدة (وهى الطبيعة البشرية • وما يقوله بعض المفسرين هنا فى النفس الواحدة : أنهـا نفس آدم ، فذلك قصة التوراة) ،

« وخلق منها زوجها (أى خلق من الطبيعة البشرية الذكورة والأنوثة) ،

« وبث منهما رجالا كثيرا ونساء »(٢) (ثم انتشر خلق الرجال والنساء فى تعمير الكون من نطفة أمشاج ، اختلط فيها ما للذكر وما للانثى) •

ومن هذه الآيات يتضح أن المساواة فى الاعتبار البشرى بين الذكر والأنثى قائمة بالفعل ، وأن مصدرها : وحدة « الأصل » والنشأة بين النوعين •

فاذا جاءت آية الحجرات السابقة وأضافت الى شقها الأول قول الله تعالى : **« وجعلناكم شعوبا ، وقبائل لتعارفوا »** •• فانها

---

(١) الانسان : ١ ، ٢ (٢) النساء : ١

تضـم الى المساواة فى الاعتبـار البشرى بين الأفراد بين الذكر والأنثى ، المساواة فى الاعتبار البشرى بين الشعوب ، والقبائل ، وكل المجموعات الأخرى التى تقوم على عصبية الدم أو وحـدة اللغة ، أو تجانس اللون فهذا النسق الثانى من الآية يريد أن ينفى : أن اختلاف الشعوب يوصل الى اختلاف اعتبارهم البشرى • بل هو مصدر للتقارب والتعارف فيما بينهم • أى هو مصدر لجذب بعضهم الى بعض لحاجة كل منهم للآخر • فالاختلاف بين الذكورة والأنوثة عامل جذب ، وليس عامل تضاد •• والاختلاف بين الغنى والفقير عامل مشاركة وحاجة متبـادلة ، وليس عامل خصـومة ومطاردة •• وهكذا •• فالأفراد البشرية ، والجماعات البشرية لا فرق بين بعضها بعضا فى الاعتبار البشرى ، فى نظر الاسلام • ومن هنا يمكن أن يقال : ان الاسلام ضد « التفرقة العنصرية » وانه ينظر الى الناس جميعا نظرة المساواة فى الاعتبار البشرى • فلا يفضل انسانا على آخر ، ولا شعبا على شعب ، ولا قبيلة على قبيلة ، ولا جماعة من الناس ترابطت على أساس غير انسانى ، على جماعة أخرى ترابطت أيضا على أساس آخر ، هو غير انسانى كذلك •

ولكن الاسلام فى الوقت نفسه يميز بين الأفراد ، والجماعات ـ بعد اقراره بالمساواة فى الاعتبار البشرى ـ بما تنتهى به آية الحجرات السابقة ، وهو قوله تعالى :

« ان أكرمكم عند الله أتقاكم ،

« ان الله عليم خبير »(١) • فتذكر الآية أن مقياس التفضيل للافراد والجماعات عند الله لا يرجع الى « العنصر » « والعرق » بل هو التقوى •• هو تجنب المعاصى والآثام •• هو تجنب المنكر والفواحش •• هو أداء الواجبات المختلفة •• هو أداء العبادات ••

---

(١) الحجرات : ١٣

هو الوفاء بالعهود ٠٠ هو الصبر فى البأساء والضراء ، وفى تحديد المتقين يقول الله تعالى :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ،

« ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة ، والكتاب ، والنبيين ،

« وآتى المـال على حبه : ذوى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل والسائلين ، وفى الرقاب ،

« وأقام الصلاة وآتى الزكاة ،

« والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء ، وحين البأس ،

« أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون »(١) ٠ فالمتقى هو صاحب الايمان بما طلبت الآية هنا الايمان به ، وهو المؤدى للواجبات والتكاليف حسبما يدعو القرآن فيها كذلك ، وهو صاحب الصفات النفسية القائمة على القيم الانسانية العليا والثبات عليها : من الوفاء بالعهد ، والصبر والتحمل فى الشدة اذا استمرت ، ووقت مفاجآتها **« وحين البأس »** ٠

والتقوى التى يتميز بها فرد عن فرد أو مجموعة من النـاس على مجموعة أخرى هى جماع هذه الأنواع من الصفات التى ذكرت فى آية البر هنا ٠

والاسلام بذلك يفرق بين شيئين لا يستلزم أحدهما الآخر ٠٠ يفـرق :

(أ) بين المساواة فى الاعتبار البشرى ، على أساس الوحدة فى أصل النشأة البشرية ٠

---

(١) البقرة : ١٧٧

(ب) وبين التميز فى السلوك الانسانى ، والارتباط بالقيم الانسانية العليا فى الحياة على أساس من الايمان وتأثيره على الفكر ، والوجدان ، والعمل الارادى ٠

* * *

وعندما تبدر بادرة اختلاف بين المؤمنين فى جماعتهم تنسير الى الرجوع الى الاعتزاز أو التفاخر « بالأصل » فيهم يتجه الاسـلام فورا الى النهى عن طريق ذلك ويذكر بالرباط القائم بينهم الآن بديلا عما كان فيقول : **« انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون »**(١) ٠٠ فيطالب بالصلح على أساس الأخوة فى الايمان بالله وليس على أساس عنصرى ٠ ثم ينهى عن مباشرة الآثار التى تترتب على اعتبار « العنصرية » باقية كما كانت فيقـول :

« يا أيها الذين آمنوا :

« لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم (فى العمل والسلوك) ،

« ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ،

« ولا تلمزوا أنفسكم (ولا تذكروا عيوب بعضكم بعضا فى غيبتكم) ،

« ولا تنابزوا بالألقاب (أى لا يلقب بعضكم بعضا بما يكره أن يسمعه) ،

« بئس الاسم الفسوق بعد الايمان »(٢) (أى بئس الخروج عن الايمان بعد الدخول فيه) ٠٠

فينهى القرآن هنا عن أن يسخر أحد من آخر ، ذكر أو أنثى بسبب وضاعة النسب ، أو بأى سبب من الأسباب التى كانت

---

(١) الحجرات : ١٠   (٢) الحجرات : ١١

فى المـاضى يستندون اليها عند التنقيص ، أو السخرية من أحد • لأن ذلك لا يتفق اطلاقا مع قيام المساواة فى الاعتبار البشرى بين الناس جميعا ، التى يطلبها الاسلام ويصر على طلبها •

كما ينهى عن انتهاك الحرمات فى غيبة أصحابها بما يسىء اليهم ، وعن مواجهتهم بما يكرهون من الأسماء والألقاب • ويجعل أى سبيل من سبل الانتقاص المذكورة فسوقا وخروجا من الايمان ، أو هو بمثابة الارتداد عن الايمان • فالسخرية ، والاساءة الى الانسان بالتنقيص من خلقه ، ودعوته بما يكره من الألقاب : أمور لا تجرح الاحساس الانسانى فقط بمن يسخر منه ، أو يسـاء اليه من خلفه ، أو فى مواجهته • وانما قد يصل جرح الاحساس الى ما يعوقه عن التفكير السليم ، ومباشرة العمل ، ويحول بينه وبين النظرة المتفائلة فى الحياة •• هى أمور قد تؤدى الى أن يكره الانسان نفسه ويتهرب بوسيلة ، أو بأخرى من لقـاء النـاس ، فضلا عن أن يستمتع بهم عند اللقاء •

ولكى يبعد الاسلام سوء الظن بالآخرين ، اعتمادا على تقليـد كان قائما على تفرقة قبلية يطلب الابتعاد عنه من قريب أو بعيد فيقـول :

((يا أيها الذين آمنوا ،

((اجتنبوا كثيرا من الظن ، ان بعض الظن اثم ،

((ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضا))(١) •

والواقع أن القرآن الكريم يطلب فى هذه الآيات الثلاث فى سورة الحجرات : أن يتجنب المؤمن كل أسباب الايذاء النفسى لمؤمن آخر • وهى أسباب كانت سائدة فى الجاهلية ، وتسود فى كل عهد مادى • والقرآن اذ يطلب أن يتجنبها المؤمن يطلبها لكى يفسح مجال العلاقات بين المؤمنين الى الايمان بالله • والأخوة على أساس منه :

---

(١) الحجرات : ١٢

فسخرية انسان من انسان ٠
وتنقيص انسان من انسان آخر وراء ظهره ،
ودعوة انسان انسانا آخر بما يكره من ألقاب أمام آخرين ،
وتجسس انسان على أسرار انسان آخر ،
وغيبة انسان لانسان ٠٠

كلها عوامل تحول قطعا دون صفاء النفوس ، وتماسك بنيان المجتمع ٠ وهى لا تشيع الا اذا كانت « التفرقة العنصرية قائمة » بوجه من الوجوه ٠

* الاسترقاق ليس تفرقة عنصرية :

واسترقاق الأسرى فى الحروب بين المسلمين وأعدائهم اذا باشره الامام ، وأصبح هناك بين المؤمنين أرقاء من غيرهم ، يجوز بيعهم وشراؤهم : لا يعد « تفرقة عنصرية » فعدم مساواة الأرقاء بالأحرار فى المجتمع الاسلامى فى الاعتبار الانسانى ، وجعلهم على النصف فى أمور عديدة ، مما يجب على الحر ، أو مما يجوز له ، هو اجراء ضرورى لابعاد خطر الاعتداء والحروب عن المؤمنين من أعدائهم ٠٠ هو « سياسة » يجب أن تستخدم لتحذير الأعداء والمغامرين بالحروب ٠

ثم الاسترقاق هو بديل عن قتل الأسير فى ميدان القتال ، أو بعد أسره ، فقد يجوز أن يقتل فى الميدان ، كما يجوز للامام أن يقتله بعد أن يؤسر ٠ وقد كان عمر رضى الله عنه ، يرى ــ والمسلمون ضعفاء ــ أن الأسير ينبغى قتله ، ولا يجوز أن تقبل منه فدية ، فضلا عن أن يمن عليه الامام باطلاق سراحه ٠ وفى رأيه جاء قوله تعالى :

« ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الأرض
(حتى يتمكن ويكون قويا) ٠

« **تريدون** (أى بالفدية • وقد كانت الفدية رأى أبى بكر لحاجة المؤمنين الى المال) **عرض الدنيا** ،

« **والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم** ،

« **لولا كتاب من الله سبق** (أى لولا قضاء من الله سبق فى علمه : بالعفو عن الرسول عليه السلام والمؤمنين معه من أجل قبول الفدية بادىء ذى بدء) **لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم** »(١) •

ومع أن الرقيق يفرق بينه وبين الحر فى مجالات عديدة فى الحياة ، وبالأحص فيما تعلق بالقيمة الانسانية ، ومع أن الاسلام يرى فى التفريق بينهما ضربا من ضروب التأديب للاسير الذى أصبح رقيقا ، لكنه لا يرى فى هذا التفريق أية صلة تعود بها الى ما يسمى « بالتفرقة العنصرية » •• لأن الاسلام لا ينتقصه « لأصله » •• أو « عرقه » أو « جنسه » أو « شعبه » أو « قبيلته » •• أو غير ذلك مما يعده الماديون •• أو الجاهليون ـ سببا فى « التمييز » و « التفرقة » •• أو سببا فى التنقيص والخسة كما واجه قوم نوح رسولهم بأن سبب كفرهم برسالته : أنهم من « الأشراف » وأن من عداهم من الذين آمنوا به من « الوضعاء » •

« **قالوا : أنؤمن لك ، واتبعك الأرذلون** »(٢) •• فهم يأنفون أن يكونوا فى مستوى واحد مع الأراذل أو الوضعاء ، فى الايمان برسالة نوح •

والتفرقة العنصرية دائما ظاهرة من ظواهر المادية ، مهما قيل فى شأن « المساواة » أو ادعائها فى ظل طغيان المادية • أما « التجريد » من الاعتبار الانسانى الذى يسلكه الاسلام مع الرقيق ، فلا يقدم على شىء سوى استنكار العدوان والاعتداء ، وحمل المعتدى على التفكير طويلا قبل اعتدائه على المؤمنين •

* * *

(١) الأنفال : ٦٧ ، ٦٨

(٢) الشعراء : ١١١

والآن تمر بنا فى الاسلام أربعة أمور :

الأمر الأول : أن الاسلام يرى المساواة فى الاعتبار البشرى أساسا جوهريا فى النظرة الى الناس جميعا ٠

الأمر الثانى : أن هناك فى الاسلام ـ بعد ذلك ـ فروقا فردية تنشأ عن قوة الايمان وضعفه ، وحسن السلوك ، ومدى مطابقته لما يأمر أو ينهى عنه الاسلام ، وهى فروق يتميز بها فرد عن آخر أو مجموعة عن أخرى ٠

الأمر الثالث : أن الاسترقاق ومعاملة الأرقاء ، والنظرة اليهم لا تتصل بمعنى « التفرقة العنصرية » ٠

الأمر الرابع : أن المسئولية الفردية هى مسئولية للناس عامة ٠ والناس جميعا يتساوون فى حمل هذه المسئولية ، كما يتساوون فى الاعتبار البشرى ٠

والحديث الشريف يذكر المسئولية الفردية فيما يروى عن الرسول عليه السلام فى قوله :

« كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ،

« والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عن رعيته ،

« والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده ، وهى مسئولة عنهم ،

« وعبد الرجل راع على مال سيده ، وهو مسئول عنه ٠

« ألا : كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » ٠٠ فالسيد والرقيق ٠٠ والذكر والأنثى كل فى دائرة مسئوليته مطالب بأداء المسئولية ورعايتها ٠

والروح الاسلامية هى روح انسانية عامة تتجاوز كل مظاهر « التفرقة العنصرية » وأسبابها كذلك ٠ تستهدف السلوك الانسانى الكريم وتحقيق مستواه الفاضل ٠

« **واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم** (مما يخص القبائل والعشائر) ،

« **ولكن الله حبب اليكم الايمان ، وزينه فى قلوبكم** (فارتفعتم به فى السلوك والمعاملة عن كل أسباب الخصومة • وهى أسباب تعود غالبا الى « العنصرية ») ،

« **وكره اليكم الكفر ، والفسوق ، والعصيان ، أولئك هم الراشدون** »(١) (وطالما تبعد الانسان عن الكفر ، والفسوق ، والعصيان ، فهو بعيد كذلك عن كل ما يؤذى فى العلاقات بين الأفراد بعضهم ببعض • وهو رشيد كذلك فى مسلكه وتصرفه) •

* * *

* فى توجيه الرسول عليه السلام :

والرسول عليه السلام يبغض فى العصبية الجاهلية • وهى التى تقوم على أساس قبلى (أو عنصرى) لنصرة عضو فى القبيلة ، ولو كان ظالما ، ضد مظلوم آخر فى قبيلة أخرى •• ويروى عنه عليه الصلاة والسلام فى هذا الشأن قوله :

« ليس منا من دعا الى « عصبية » •• (أى ليس من المؤمنين من جعل العصبية سبيلا الى نُصرة الظالم) •• وليس منا من قاتل على عصبية (أى اشتبك فى القتال على أساس العصبية ، وليس على أساس نصرة الله) » •

وفى رواية جبير بن مطعم :

« خيركم : المدافع عن عشيرته ، مالم يأثم (أى مالم يتجاوز الحد فى الدفاع فينصر الظالم لأنه فقط من عشيرته) » •• فالرسول

---

(١) الحجرات : ٧

عليه السلام لا ينكر الترابط على أساس العصبية · لأن ذلك شأن طبيعى فى الانسان · ولكن ينكر فقط أن يوجه هذا الترابط لارتكاب الآثام والمظالم ، بسبب العشيرة والانتساب اليها · ولذا يروى فى هذا الشأن عن عبد الله رضى الله عنه قول الرسول عليه الصلاة والسـلام :

« قال : من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذى ردى ، فهو ينزع بذنبه »(١) · ووجه الشبه هنا أن انقاذه صعب مما وقع وتردى فيه ، ويندر أن ينقذ حيا فالذى ينصر قومه على غير الحق يخطىء خطأ جسيما فى حق نفسه ويؤدى بها الى الهلاك · فالعصبية ذاتها أمر طبيعى · ولكن يجب أن تسير فى ظل الايمان بالله ، ودين الله · أى يجب أن تكون تعاليم الرسالة الالهية هى صاحبة التوجيه لطاقات الانسان وترابطه ·

بينما « العنصرية » القائمة الآن لا تفترق اطلاقا عن العصبية الجاهلية التى يمقتها الاسلام · فهى نصرة للشريك فى الجنس والعنصر فى ظلمه وباطله قبل حقه وعدله ·

واذا كان يروى عن الرسول عليه السلام قوله فى تمجيـد بنى هاشم :

« ان الله اختار العرب من بين سائر الناس ،

« واختار قريشا من العرب ،

« واختار بنى هاشم من قريش ،

« واختارنى من بنى هاشم ·· فأنا أفضل الناس »(٢) ·· فليس يعنى عليه السـلام التمييز العنصرى · والا لما كانت

---

(١) التاج جـ ٥ ص ٤٧

(٢) البزدوى ـ مسالة ٦٨ ص ١٩٣

رسالته رسالة عالمية ، ولما كانت دعوته الى تحقيق القيم الانسانية العليا فى حياة المؤمن • وانما يعنى فقط التنبيه الى « صفاء » نسبه وشرف منبته ، وهذا أمر يتصل « بالوراثة » وما لها من أثر على السلوك والتوجيه واذا كان الرسول يصطفى من البشر فان اختيار الله جل شأنه لرسول ما يدخل فيه ماضيه وما ينطوى عليه من عناصر طيبة وخيرية • وسلسلة النسب التى يشير الحديث هنا اليها تعطى لأى كاتب فى سيرته عليه السلام : أنه عليه السلام : حتما كان يتحلى بصفة الأمانة ، تلك الصفة التى لها صلة وثيقة بالعصمة فى تبليغ الوحى ورسالة الله الى الناس جميعا •

وفيما يروى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : « تجدون الناس معادن : خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام •• اذا فقهوا •• وتجدون خير الناس فى هذا الشأن : أشدهم له كراهية قبل أن يقع فيه ، وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ، ويأتى هؤلاء بوجه »(١) •• يشير كذلك الى « الوراثة » وأثرها فى توجيه الأفراد ، دون أن يقصد الى معنى التفرقة العنصرية • فالوراثة أمر جوهرى فى الفروق الفردية ، بينما « اللون » مثلا ـ وهو أساس من أسس « التفرقة العنصرية » ـ القائمة اليوم لا يفرق بين فرد وفرد أو مجموعة ومجموعة أخرى على نحو ما يدعيه أصحاب هذه التفرقة • فاللون الأسود لا يرتبط بضعف مستوى الذكاء فى صاحبه ، كما أن اللون الأبيض لا يدل دلالة لازمة على رفع مستوى الذكاء فيمن هو أبيض اللون • قد يكون للجو وللطبيعة فى برودتها وحرارتها أثر على نشاط الانسان • وبذلك يختلف نشاط من يسكن المنطقة الباردة فى مستواه وفى طول أمده عن ذلك الذى يسكن المنطقة الحارة أو الرطبة • ولكن لا ينبغى أن يرتبط اختلاف النشاطين فى المستوى وفى المدى ، باللون الأسود والأبيض ، اذا

---

(١) كتاب التاج ص ٤٣٥ جـ ٣

كان الأسود هو الذى يُسكن المنطقة الحارة أو الرطبة ، بينما الأبيض يسكن المنطقة الباردة ٠

* * *

* فى موقف عمر رضى الله عنه :

ان عمر رضى الله عنه ، وهو من هو ، فى الجاهلية والاسلام ، كان يقول عن بلال بن رباح الحبشى ، مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما يروى عن جابر رضى الله عنه : « أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا ٠ ويعنى بلالا » ٠٠ وبلال حبشى الأصل ، أسود اللون ٠ وكان مملوكا لبنى جمح ، فلما سمع بالاسلام بادر اليه فصار أسياده يعذبونه عذابا شديدا على الاسلام فلا يرجع ٠ وكانَ أمية بن خلف يوالى تعذيبه ويغرى به الولدان يطوفون به فى شعاب مكة يعذبونه ويشهرون به ، فلا يفتر لسانه عن قول : أحد ٠٠ أحد ٠ وكان هلاك أمية هذا على يديه ٠ فلما اشتد تعذيبه ودفنوه فى الحجارة حيا اشتراه أبو بكر بخمس أواق ، وأعتقه لله تعالى ٠

فتكريم عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبلال الأسود الحبشى ، بالتعبير عنه بأنه « سيده » ٠٠ يدل دلالة واضحة على أن روح « التفرقة العنصرية » لم تكن قائمة فى التطبيق العملى للمبادىء الاسلامية ، على الأقل حتى عهد عمر ٠ قد تكون مترسبة فى أعماق بعض النفوس ٠ ولكن ليس بترسبها هذا مع ذلك تغيير فى مجريات الأمور حسبما يرشد الاسلام بروحه الانسانية العامة :

يروى عن عائذ بن عمر رضى الله عنهما :

« أن أبا سفيان (قبل اسلامه) مر على سلمان الفارسى ، وصهيب الرومى ، وبلال الحبشى ، فى نفر فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها (ويقصدون أنه كان يجب أن يزول أبو سفيان عدو الله من هذا الوجود ، وقاية للاسلام من شره وعداوته) ٠ فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش

وسيدهم : (يعنى أبا سفيان) • وأتى النبى عليه السلام فأخبره • فقال : يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ؟ ان كنت أغضبتهم فقد أغضبت ربك • فأتاهم أبو بكر فقال : يا أخوتاه أأغضبتكم ؟ فقالوا : ما غضبنا • يغفر الله لك » •

فالثلاثة : سلمان الفارسى ، وصهيب الرومى ، وبلال الحبشى ، من « عروق » و « أجناس » ثلاثة • وأبو سفيان قرشى • فرد أبى بكر وهو قرشى أيضا ، على الثلاثة ربما يوقظ فى نفوسهم معنى « العنصرية » •• يوقظ أن قريشا تتميز على غيرها من قبائل العرب ، والأجناس الأخرى عداها • وهذا مما يثير الفتنة أو روح الفرقة من جديد أو على الأقل بما يضعف روح الأخوة الاسلامية القائمة على الروح الانسانية العامة والتى هى فوق الجنسيات والعنصريات •

ولذا كان رد الرسول عليه السلام على أبى بكر : أنه ربما أغضبهم بما قال • وطلب اليه أن يرضيهم ويطمئنهم على أن الروح الانسانية العامة ــ وليست روح العنصرية ــ هى السائدة فى المجتمع الاسلامى ، وأن المسلم أخ المسلم فى الايمان والاعتبار وأمام المسئولية •

ووصية عمر رضى الله عنه بمن يخلفه ــ وهو مصاب باصابته ــ تدل أيضا على عدم وجود نزعة نحو « التفرقة العنصرية » يستلهم منها المسلمون اتجاهاتهم فى الحياة تدل على أن الاسلام بمبادئه الانسانية لم يزل صاحب السيادة •

فيروى : أن بعض الرجال استأذنوا فى الدخول عليه رضى الله عنه فقالوا : أوصى يا أمير المؤمنين •• استخلف •• قال :

« ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم •

فسمى « عليا » و « عثمان » و « الزبير » و « طلحة »

و « سعدا » و « عبد الرحمن » وقال : : « يشهدكم عبد الله بن عمر ، وليس له من الأمر شيئا ٠

« فان أصابت الامرة سعدا فهو ذاك ٠ والا فليستعن به أيكم ما أمر ، فانى لم أعزله عن عجز ، ولا خيانة ٠

ثم قال : أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين : أن يعرف لهم حقهم ، ويحفظ لهم حرمتهم ٠

وأوصيه بالأنصار خيرا ، الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم ، أن يقبل من محسنهم وأن يعفى عن مسيئهم ٠

وأوصيه بأهل الأمصار خيرا ٠ فانهم رده الاسلام ، وجباة المال ، وغيظ العدو ، وأن لا يأخذ منهم الا فضلهم ، عن رضاهم ٠

وأوصيه بالأعراب خيرا ، فانهم أصل العرب ، ومادة الاسلام : أن يأخذ من حواشى أموالهم ، ويرد على فقرائهم ٠

وأوصيه بذمة الله ، وذمة رسوله : أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم » ٠

فان وصيته رضى الله عنه هنا بجميع طوائف المؤمنين وأهل الذمة فى الأمة ٠٠ لا تدل فقط على حنكة فى التجربة السياسية ٠ وانما أيضا تدل على السمو فوق القبلية والعنصرية لأنه رضى الله عنه فيما يعلل به وصيته لكل طائفة يذكرها بفضلها فى الاسلام ، وفضل اسهامها فى قوة الأمة وخيرها ٠

✱ بعد وفاة الرسول عليه السلام :

والرسول عليه السلام صاحب التبليغ بالوحى الالهى ، وصاحب الرسالة ، والدعوة اليها ، وصاحب التطبيق الجاد والصادق لمبادئها فى حياته ٠ ولذا كان قوله حجة وتطبيقه حجة كذلك ٠ ومن ثم كانت قدوته قدوة حسنة ، يجب على المؤمنين برسالته أن يتبعوها ؛

وكما رأينا فى القرآن الكريم : أن روح الاسلام روح انسانية عامة ، فوق العنصرية والشعوبية ٠٠ وأن : « لا اله الا الله » ٠٠ هو شعارها والله وحده معبود الخلق أجمعين ٠

ولكن الى متى تظل « العنصرية » بعيدة عن مجال الحياة الاسلامية التى سادت فيها القيم الانسانية ؟

هل انتهت الروح « العنصرية » من نفوس المؤمنين وقلوبهم ، وهم عرب لهم قبائلهم أو عجم لهم تاريخهم وحضارتهم ؟ أم كبتت هذه الروح وترسبت فى العمق وتظل مترسبة الى حين ؟ حتى اذا ضعف غطاء الايمان بالله ابتدأت تعلو على السطح الى أن يبدو أثرها فى السلوك والمواقف ، ثم فى الفرقة والاختلاف بين الطوائف والجماعات فى الأمة ؟

بعد وفاة النبى عليه السلام أراد الأنصار أن يؤمروا « سعد ابن عبادة » وقال للمهاجرين : منكم أمير ـ أى من الأوس : أمير ـ وهذا رجوع بالروح الاسلامية العامة الى الروح القبلية ٠
ومنا أمير ٠٠ ومن الخزرج أمير ٠

فقال لهم أبو بكر رضى الله عنه : سمعت رسول الله عليه السلام يقول :

« الأئمة من قريش » فيبقى على الاعتزاز بقريش ٠ فكان القرشيون أهل زعامة وثنية على عهد الكهان . وليبقوا كذلك أهل الامامة فى الاسلام ٠

ويروى ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يزال هذا الأمر (وهو الامارة) فى قريش ، ما بقى منهم اثنان » ٠٠ وهذا وذاك من الاحاديث التى يجب أن تكون موضع نظر للمؤمنين ٠

فأبو بكر وابن عمر ـ وهما من أجلاء الصحابة ـ يحدثان المؤمنين بما ينسب للرسول عليه السلام من وقوفه بالامامة

أو الخلافة فى قريش وحدها ٠ هل معنى ذلك أنه عليه السلام كان يميز قريشا على ما عداها من القبائل العربية الأخرى فضلا عن الأعاجم الذين دخلوا الايمان بالله وشاركوا فى مسئولية بقاء الأمة الاسلامية ؟ هل هذا التمييز ينتهى الى أن تكون الامامة أو الخلافة عربية دائما ، دون أن تكون اسلامية يوما ما ؟

ويستمر الرأى بوجوب كون الامام من قريش وحدها فترة أخرى من الزمن بين المسلمين ، كما يذكر البزدوى(١) فيقول : يجب أن يكون الامام أفضل علما وتقوى وشجاعة ، ونسبا ، ويجب أن يكون من قريش ، وهو قول أهل القبلة ، واستنادا الى حديث أبى بكر السابق : « الأئمة من قريش » ٠٠ والى أن الصحابة أجمعوا على خلافة أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، ولم يكونوا من بنى هاشم ٠

ثم تقوم آراء أخرى معارضة لهذا الرأى :

فالروافض يقولون : يجب أن يكون من بنى هاشم ، ولا يجب أن يكون من قريش لأنهم أنصار لعلى رضى الله عنه ٠

والمعتزلة عامة يرون : أنه يجب أن يكون تقيا عالما بكتاب لله ، ولا يجب أن يكون من قريش ٠

والخوارج يرون أنه يجب أن يكون من غير قريش ، ويوجهون أيهم بأن الامام قد يظلم ، وقد لا يمتنع عن المعاصى فتقع الحاجة لى عزله ٠ فان كان قرشيا يكون ذا تبع كثير فلا يمكن عزله ، يؤدى الى فساد العالم ٠ فيجب أن يكون من غير قريش حتى مكن عزله ٠

وبعد الخلفاء الأربعة قال : « أبو بكر الأصم » من المعتزلة ، بعض الخوارج : انه لا يجب أن يكون هناك امام ٠ بل يجب لى الناس أن يعملوا بكتاب الله تعالى ففيه الكفاية عن الامام ٠

---

(١) مسألة ٦٠ ص ١٨٧

والرأى الآن فى ذلك الوقت بين المسلمين فى شأن الامامة :

يجب أن يكون هنــاك امام • ولكن هل يجب أن يكون من قريش ؟ أو من بنى هاشم ؟

يجب أن لا يكون هناك امام ، اكتفاء بالعمل بكتاب الله •

ان اختيار قريش أو بنى هاشم مؤهلا للامامة الكبرى لا يخلو من نزعة قبلية •• وان القول بالغــاء الامامة والاستعاضة عنهــا بكتاب الله يدل على كراهيته للانتماء الى أية قبيلة فى اختيار الامام • وكراهيته الانتماء الى القبيلة عند اختيار الامام تدل على البغض الأعمى للعرب ، وللمسلمين جميعا • فرأيهم تصاحبه الفوضى فى التطبيق وتفكك المسلمين فى الاتجاه والتوجيه معا •

وهذه النزعة القبلية التى ظهرت بعد وفاة الرسول عليه السلام وأسند أمرها فى بعض الأحاديث اليه فى آخر حياته : من غير شك بداية لضعف المجتمع الاسلامى فى غده ، وسيره فى مراحل التفرق ، والاختلاف ، بعد أن اكتمل فى القوة والتماسك عند فتح مكة • اذ قد مضى عليه منذ نشأته المدة التى يبلغ فيهــا نهاية تطوره كمجتمع انسانى ، فالمجتمعات الانسانية تمر بمراحل التطور التى يمر بها الفرد من الانسان • فاذا بلغت نهاية المرحلة الأخيرة تبتدىء من جديد فى النزول • ثم تصعد مرة أخرى لتصل الى قمة التطور •• وهكذا •

والمجتمع الاسلامى هو مجتمع انسانى • على معنى انه يأخذ بالقيم الانسانية العليا فى السلوك ، والمعاملات والمواقف • وقمة تطوره هو بلوغه فى الأخذ بهذه القيم بلوغا يوصله الى المستوى الرفيع فى الانسانية • فاذا ابتدأ يضعف أخذ فى التنازل عن بعض هذه القيم الانسانية العليا شيئا فشيئا •• حتى يصل الى صفة المجتمع المــادى وهى صفات الجاهلية • وكلها تدور فى فلك الاقتصاد وتمجيــده •

وبعض « الأنصار » كان يرى فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام لأبى سفيان عندما اشتكى من هلاك قريش فى فتح مكة :

« من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن ألقى السلاح فهو آمن ٠ ومن أغلق بابه فهو آمن » عاطفة خاصة وميلا خاصا من الرسول عليه السلام نحو عشيرته ورغبة فى قريته وهى مكة ٠

وقد أجاب الرسول عليه السلام على هذا التصور عند الأنصار بقوله :

« هاجرت الى الله واليكم ٠ فالمحيا محياكم ٠ والممات مماتكم » ٠٠ وبهذا الجواب ضعفت النزعة الى « العشيرة » وهى ولا شك نزعة « عنصرية » ٠ ومع ذلك فاللمحات القبلية أخذت تظهر فى التوجيه ، كما تظهر فى الحديث والمحاورة ٠ وان كان شأنها لم يكن ذا خطر على الأمة اذ ذاك ٠

وحديث حذيفة رضى الله عنه :

« كان الناس يسألون رسول الله عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، مخافة أن يدركنى فقلت يا رسول الله : « انا كنا فى جاهلية وشر (أى كان مجتمعنا مجتمع عادات جاهلية وهى العادات التى يغلب عليها استضعاف الضعيف ، وحب المال حبا جما ، والاستغناء به والطغيان عن طريقه ٠٠ وهو مجتمع شر ٠ لأنه يقوم على الأنانية وحب الذات وحدها) فجاءنا الله بهذا الخير (وهو الاسلام ٠ والمجتمع الاسلامى مجتمع انسانى يؤثر الروابط الانسانية بين الأفراد على تلك التى تتصل بالمادة وحدها) ٠

« فهل بعد هذا الخير من شر ؟ (أى فهل يذهب هذا المجتمع الخير وهو المجتمع الاسلامى بعد فتح مكة ، ويضعف حتى لا ترى فيه الا العادات الجاهلية من جديد وهى التى تمثل الشر فى الانسانية ؟)

« قال : نعم (وعلى هذا السؤال يجيب الرسول عليه السلام بأن المجتمع الاسلامى الذى قام منذ الدعوة بمكة ، وازدهر وقوى بالمدينة ، واشتد أزره وقوى ساعده عند فتح مكة ، سيضعف وسيزول خيره شيئا فشيئا ، ويحل بدل الخير فيه : شر هو الذى يصاحب ظواهر المجتمع المادى أو الجاهلى • فالمجتمع الاسلامى القائم عند فتح مكة سيتغير وسيتحول الى المجتمع المقابل له • وهو المجتمع المادى أو الجاهلى) •

« قلت وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال نعم (ويعيد حذيفة نفس السؤال ويجيبه الرسول عليه بنفس الجواب ، مما يدل على أن المجتمع البشرى لا يبقى على وضع واحد • وانما هو يتقلب بين وضعين متقابلين • اما أن يكون مجتمعا انسانيا تسود فيه القيم الانسانية • وعندئذ يكون مجتمعا اسلاميا وخيرا على البشرية كلها • واما أن يكون مجتمعا جاهليا أو ماديا • وعندئذ يكون شرا على البشرية كلها) » •

وتأسيسا على هذا التحول ، وعلى أنه مبدأ اجتماعى ، اذ اختفت ظاهرة « التفرقة العنصرية » فى المجتمع الاسلامى ، أى فى المجتمع الذى يسود فيه الاسلام والقيم الانسانية العليا ، فانها حتما ستظهر ، وربما ستكون فى ظهورها قوية ، فى المجتمع المادى أو الجاهلى ، اذا آل اليه المجتمع الاسلامى أو الانسانى يوما ما ••• و « التفرقة العنصرية » اذن ظاهرة اجتماعية تسود المجتمع المادى ، وتختفى أو تكبت فى المجتمع الانسانى أو الاسلامى • وهى من الظواهر الواضحة التى يعرف بها اتجاه المجتمع البشرى : ان كان نحو المادية •• أو نحو الانسانية •

واذا كان المجتمع الاسلامى على عهد الرسول محمد عليه السلام هو مرآة صدق لمبادىء الاسلام ، ولتطبيق هذه المبادىء فانه يشك كثيرا فيما ينقله الرواة عن ملامح « القبلية » أو « العشيرية » •• مما يتصل بالتفرقة العنصرية ، منسوبا الى الرسول ذاته أو الى بعض كبار الصحابة رضوان الله عليهم •

ولكن بعد وفاته عليه السلام لا يستعبد ظهور اشارات تشير الى ما كان عليه العصر الجاهلى من أمارات ٠٠ ومن أهم أماراته « التفرقة العنصرية » فالتفرقة العنصرية ظاهرة المجتمعات المادية أو الجاهلية دائما ٠ والمجتمعات الأوروبية المعاصرة ـ مسيحية أو غير مسيحية ـ وهى مجتمعات « البيض » تحاول فقط أن تخفى « العنصرية » ٠٠ كأسلوب فى الحياة العامة ٠ ولكن أساس نظرة البيض أو الشعوب الأوروبية الى الملونين أو الشعوب الأفريقية والآسيوية ، هو نظرة عدم المساواة فى الخصائص الانسانية وبالأخص العقلية منها ٠ وربما كان استعمار « البيض » للملونين فى أفريقية وآسيا فى القرن التاسع عشر فترات طويلة ، سببا فى تقدير هؤلاء الملونين تقديرا لا يرقى الى مستواهم هم ٠

فالبيض يعتبرون « الملونين » متخلفين ، ليس فى العلم ، ولا فى الصناعة فقط وانما مع ذلك فى الطاقات البشرية ، والقدرة على الانجاز ، وحل المشاكل والخبرة فى شئون الحياة ٠

وكثير من الكتاب الأوروبيين ملاوا العالم بصيحاتهم فى القرن التاسع عشر عن « ميزات العقل الآرى » ٠٠ ويرونه أنه ـ دون غيره ـ صانع الحضارات البشرية والتاريخ الانسانى ٠

فمن هؤلاء الكتاب : جوبينو Gobineau يؤكد فى كتابه : « محاولة توضيح عدم المساواة بين الأجناس البشرية » فى سنة ١٨٥٣ : أهمية العناصر العقلية فى علم الأجناس ويشير الى استخدام التاريخ العالمى ٠ ويذكر أن سقوط الشعوب الكبيرة كان بسبب الاختلاط بين الأجناس التى منها حملة المدنية كالعنصر الآرى ٠

وهو كاتب فرنسى عاش ما بين ١٨١٦ ـ ١٨٨٢ وله غير ما سبق من كتاب : « بيان القيمة الذاتية للانسان الآرى » ٠٠

وكتاب : « عدم التساوى بين النـاس » وله تأثير على نيتشه Nie zsche الفيلسوف الألمـانى ، و فاجـنر Wagner الموسـيقى الألمانى الكبير وكذلك على تشمبرلين Chamberlain الكاتب الانجليزى وصاحب كتاب : « القرن التاسع عشر فى أهمية العقل الآرى(١) فى تاريخ المدنية » ٠٠ وقد عاش هذا الكاتب ما بين ١٨٥٥ ـ ١٩٢٧ ٠

وفى بداية نشأة علم الأجناس كانت تحدد « العنصرية » بأنها اعتقاد بأن الأجناس البشرية بفطرتها تحدد حضارتها ٠ وتنطوى هذه الحضارة عادة على فكرة : أن جنسا خاصا يتميز على غيره ، وأن له الحق فى أن يحكم الآخرين ٠

كما كان البعض الآخر يحدد « العنصرية » فى علم الأجنـاس البشرية بمجموعة كبيرة من الناس يرتبط بعضها ببعض عن طريق رباط مشترك عام من خصائص : جسمية وعقلية ٠٠ وتنفصل عن غيرها من المجموعات ، وتتميز عنها بهذه الخصائص كذلك ٠

وكانوا يذكرون من علامات الجنس : طول الجسم ـ وصورة الوجه ـ وشكل الرأس ـ ولون العينين ـ ولون البشرة ـ ولون الشعر ـ وفروق الدم ٠

وبلومينباخ Blume nba فى القرن التـاسع عشر كان يحـدد العنصريات :

بالعنصر القوقازى ،

والعنصر المونجولى ،

---

(١) والآرى هو : الشريف أو السـيد ، وفى نظـر جوبينو Gobineau هو الجرمانى الشمالى وأصبح الآن : الألمـانى أو صاحب القرابة معه فى الدم من الأوربيين ٠

والعنصر المساليزى ،

والعنصر الهندى ،

بينما كوفييه Cuvier ـ وهو عالم فرنسى فى وراثة الحيوان ، وعاش ما بين ١٧٦٩ ـ ١٨٣٢ ـ كان يحددها :

بالبيض ،

والصفر ،

والسود ،

وتخصص الأوروبيين فى « علم الأجناس » وكتاباتهم الواسعة فى « العنصريات » تعطى اهتمامهم الكبير بما يميزون به أنفسهم كصانعى « الحضارة الانسانية » .. وحملتها وبالتالى تعطى ما يريدون أن يقولونه للآخرين غيرهم من البشر وهو : أن على هؤلاء أن يلقوا بالقيادة اليهم ويسلموا اليهم زمامها فى طوع ، حتى لا تنطفىء شعلة الحضارة الانسانية .

والتفرقة العنصرية كاتجاه رسمى اليوم فى جنوب أفريقيا ، وفى روديسيا ، هى قائمة فى واقع الأمر فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وفى الاتحاد السوفييتى الذى زعم « العالمية » فى سياسته فحكام القوقاز وأوكرانيا مثلا لابد أن يكونوا من « الروس البيض » .

* * *

* بعد الخلفاء الراشدين :

وليس من الغريب بعد عصور الخلفاء الراشدين : أن يظهر فى الأمة الاسلامية : « اتجاه العنصرية » فى الحكم ، كمؤشر لسيادة الاتجاه المادى فى المجتمع الاسلامى واحلاله محل القيم الانسانية التى كانت سائدة على عهد الرسول عليه السلام ، وفى فترات على عهد الخلفاء الراشدين بعده .

ليس من الغريب أن يظهر اتجاه الفرس فى تمجيد حضارتهم وتاريخهم ، فى مواجهة العرب والأجناس الأخرى ·

ولا يفسر ظهور هذا الاتجاه بأن دعوة الاسلام من الأصل بقيت على هامش حياة المسلمين ، دون أن تصل الى العمق فى نفوسهم ، كما يدعى بعض المستشرقين والناقلين عنهم فيما كتبوه فيما يسمى : « الفتنة الكبرى » ··

وانما التفسير السليم : أن الدعوة الاسلامية بعد أن وصلت الى العمق فى نفوس المسلمين على عهد الرسول عليه السلام · أخذ المجتمع الاسلامى يتحول بعد وفاته من مستوى القمة فى تطبيق القيم الانسانية ·· الى مجتمع يميل رويدا رويدا الى أوضاع المجتمع المادى ، فظهرت العصبية أو بما يسمى بالتفرقة العنصرية كأمارة من أمارات هذا المجتمع المادى ·

وهذا التحول سنة طبيعية اجتماعية ، اذ أضعف الرباط الانسانى الذى قام عليه وتماسك على الأخذ بقيمه ، وهو ذلك الرباط الذى يتمثل فى مبادىء الاسلام وتوجيهه ·

وكما أن الخير والشر موجودان فى عالم الانسان ، فكذلك الاسلام والتفرقة العنصرية موجودان فى عالمه أيضا · ولكن السؤال الذى يسأل بعد هذا الوجود الضرورى لكل من الطرفين ، هو :

ـ هل السيادة فى المجتمع للاسلام والقيم الانسانية ، التى تغطى على الأمارات المادية ، ومنها التفرقة العنصرية ؟

ـ أم أن السيادة للمادية والجاهلية التى تبرز التفرقة العنصرية كظاهرة رئيسية من ظواهرها ؟

عندما سأل حذيفة الرسول عليه السلام عن الخير والاسلام من جانب ، والشر والجاهلية من جانب آخر ، كان يقصد السؤال عن امكانية التحول للمجتمع من وضع الى وضع آخر نقيض له ·

فعند سيادة الاسلام تختفى « العنصرية » وعند ضعفه تبرز « العنصرية » ويكون لها شأن فى التوجيه ٠

فرباط الاسلام أعم وأشمل ٠ ولذا يطوى أى رباط آخر مهما كان قويا من قبل ، ويخفيه فلا تظهر له سمة من سماته ٠ وان ظهر بعضها فلمدة موقوتة وقصيرة ٠

بينما رباط « العنصرية » أضيق مهما كان عدد مجموعته ٠ ولذا يظهر عندما يزول من فوقه ما كان حاجبا له بعمومه وشموله ٠

الاسلام يعادى « التفرقة العنصرية » ٠ و « التفرقة العنصرية » صنو للمـادية والجاهلية ٠

محتـويات الكتاب